Sirte University Journal of Humanities **(SUJH)** مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index
https://doi.org/10.37375/sujh.v13i2.2410

مكارم الأخلاق في شعر الأخطل

أ. فتحية محمد عمر لبز
fatheya.omar@su.edu.ly
كلية التربية/ جامعة سرت/ ليبيا

تاريخ الاستقبال:2023.07.23 تاريخ القبول:2023.10.02

الملخّص

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن هذه الدراسة محاولة لبيانِ مكارم الأخلاق في شعر الأخطل، وما تحمله من قيمٍ ومثل عُليا نعتزُ بها نحن العرب، إضافة إلى أن شاعرنا عاصر فترة زمنية تغيرتْ فيها مفاهيم الشِّعر على الرغمِ من مسيحيته، ونسجه لخيوطِ الشِّعر في بلاطِ بني أمية، إذ تُعدُّ من أهمّ الفتراتِ التي ازدهرَ فيها الشِّعر العربي، وقد اتخذتْ الدارسة ديوان الأخطل مسرحًا لها، فاتجهتْ الدراسة إلى تبيان ما به من مكارم أخلاق كالكرم والشجاعة والمروءة والدفاع عن الذِّمار وحماية المستجير، وغيرها من المكارم التي سنتناولها بالدراسة والبحث إن شاء الله تعالى، وقد اتجهنا نحو هذا الموضوع لِما له من عظيم الفائدة فيما ورد من مكارم الأخلاق من جانب اتصالها بالشِّعر.

الكلمات المفتاحية:
مكارم الأخلاق، الأخلاق، الأخطل، العصر الأموي.

Noble morals in Al-Katha's poetry

Fathiya Mohammed Omar Libaz

Abstract

This study is an attempt to demonstrate the honorable morals in al-Akhtal's poetry and the values and ideals it bears that we Arabs cherish, in addition to the fact that our poet lived through a period of time in which the concepts of poetry changed despite his Christianity and weaving threads of poetry in the court of the Umayyads, as it is considered one of the most important periods in which he flourished. It contains Arabic poetry, and the study took Diwan al-Akhtal as its stage, so the study tended to show its noble morals, such as generosity, courage, chivalry, defense of slander, protection of the tenant, and other honors that we will discuss with study and research, God willing, and we have turned towards this topic because of its great benefit , with regard to what was reported from the honorable morals aspect of its connection to poetry).

Keywords

Noble morals,
Morality,
Al-Katha's,
Umayyad era.

منهج الدراسة:

لقد استعانتْ الباحثة في هذه الدراسة بالمنهج **الوصفي والمنهج التاريخي**؛ لتتمكن من قراءة الدلالات المختلفة للمكارم في شعر الأخطل.

الخطة المتبعة في البحث

استقام البحث في ثلاثة مطالب، يتقدَّمُها تمهيدٌ، وتَقْفُوهَا خاتِمَةٌ، وقائمةٌ للمصادرِ والمراجع.

التَّمهيد: عُرض فيه مفهوم الشِّعر وعلاقته بالأخلاق عند العرب.

المطلب الأول: ويشتمل على مفهومي المكارم الأخلاق، وعلى:

1- مكارم الأخلاق عند العرب في الجاهلية.

2- مكارم الأخلاق في عهدِ صدر الإسلام.

المطلب الثاني: مكارم الأخلاق في العصر الأموي ـ التعريف بالأخطل وأسلوبه الشِّعري.

المطلب الثالث: نماذج من مكارم الأخلاق في شعر الأخطل.

التَّمهيد

إنّ دراسة مكارم الأخلاق في ثنايا الشِّعر تُضفي قيمًا إنسانية؛ تُبرز جماليات يعتزُ بها العربي على مرِّ العصورِ، "فعالم الشِّعر هو عالم الأحاسيس ينفذ إليه الشاعر من خلال التأمل الذاتي في الكون وعالمه أو من خلال مشكلة من مشكلات الحياة والإنسان، وتجارب الشاعر هي التي تجعله يسمو بانفعاله وبتجاربه إلى درجات الإشراق وقمة التوهج، وعلى مدى ذلك الانفعال يكون قوة التعبير وجودته" **(محجوب، 2006م :234)**.

من خلال ما تم سرده يمكننا القول بأن الشِّعر لوحةٌ فنيةٌ يرتسم عليها ما يعتلج في نفس الإنسان، متأثرًا بما يحيط به، سواء كان عادات أم تقاليد أم أعراف أم عوامل اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم دينية أم غيرها، يقول الدكتور مصطفى الشكعة: "إن الشِّعر بصوره العديدة الجوانب يكون تعبيرًا صادق الإحساس عميق الدلالة عن كل ما يجري في المجتمع، ومن ثمَّ يتأثر الشِّعر نشاطًا وكسلًا، واندفاعًا وتراخيًا، ورقةً وخشونة، ورفعة وضِعَةً بما يجري في مجتمعه". (**الشكعة، 1997م: 21**).

ومن هنا فإن الشِّعر على مرِّ العصورِ كان متأثرًا تأثيرًا مباشرًا بالبيئة، والعادات، والتقاليد، وقيم ومكارم أخلاق ذلك المجتمع.

ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال: "ارتبط ظهور الشِّعر في حياة الإنسان كما يقول النقاد بمرحلةٍ من المراحلِ التي قطعتها اللغة في سبيل نموها وتطورها، والشِّعر أقدم فن عرفته البشرية منذ أن بدأتْ اللغة تدل على الصورةِ؛ أي استحضار الشيء الغائب المحس بلفظ يدل عليه حين غياب الشيء ذاته". (**هلال، 1997م: 343**).

وفي ذات السياق حول علاقة الإنسان بالشِّعر نذكرُ "لعل حاجة الإنسان للتعبيرِ بالشِّعر هو الذي جعل الشِّعر أقدم أشكال التعبير التي عرفتها البشرية" (**محجوب، 2006م: 231**)، وذُكر في كتابِ المقدِّمة " أن فن الشِّعر من بين الكلام كان شريفًا عند العرب؛ ولذلك جعلوه ديوان علومهم ومستودع أخبارهم وحكمهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وهو أصل يرجعون إليه في الكثيرِ من علومهم وحكمهم". (**ابن خلدون، 1984م: 570**).

وأورد ابن سلّام في كتابه طبقات فحول الشعراء "قول عمر بن الخطاب: كَانَ الشِّعر علم قوم لم يكنْ لَهُم علم أصح مِنْهُ." (**الجُمحِي، بدون: 24/1**).

ويزيد هذا القول وضوحًا ما أورده الجرجاني في كتابه "إن الشِّعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء." (**الجرجاني، 2006م: 23/1**).

فنجدُ الأخلاق هي أساس السلوك الإنساني حيثما كان، فهي مفتاح تحضر الشعوب فأينما وجِدتْ الأخلاق وِجد التحضر والرقي، فالأخلاق هي سِمة الشعوب المتحضرة والأخلاق راسخة منذ قديم الزمن.

والعلاقة بين الأخلاق والشِّعر هي الأبرز في الأدب، حيثُ إن شعره ونثره ما هو إلا أداة صالحة حفظتْ لنا العديد من السمات والصور الأخلاقية، فهي تُعدُّ المقياس والمعيار، والشِّعر عاطفة وتخييل، وهدف الأخلاق التهذيب، وهدف الشِّعر الإمتاع؛ ولكنهما يجتمعان في مدح الفضيلة وتمجيدها وذم الرذيلة وتحقيرها.

ومما يجدر بنا قوله: إن مكارم الأخلاق كانت تتحلى بها العرب قبل الإسلام، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ."(**البيهقي، رقم الحديث :20782، 2003م: 323/10**)، فالارتباط كان وثيقًا بين المكارم والعرب والأدب أو الشِّعر بالأخص هو من ترجم لنا هذا الارتباط، ويقول ابن رشيق: " احتاجتْ العرب إلى الغناء بمكارم الأخلاق وطيب الأعراق وذِكر الأيام الصالحة، والأوطان النازحة، والفرسان الأنجاد، والسُمحاء الأجواد." (**القيرواني، 1981م :20**).

لهذا كان لا بُدَّ من مدخل لهذه الدراسة يُوضِّحُ المنزلة التي تتبوؤها مكارم الأخلاق في شعر العرب، وصولا إلى الفترة التي عاصرها شاعرنا، إذ يعدُّ شاعرنا من شعراءِ فن النقائض.

المطلب الأول

قبل الولوج في هذه الدراسة كان لزامًا علينا التعرض لمفهومي المكارم والأخلاق:

ـ مفهوم المكارم:

من الكَرِيم وهو "الجامع لأَنواع الخير والشرَف والفضائل والكَرِيم اسم جامع لكل ما يُحْمَد"(**ابن منظور، 1414هـ: 510/12، ك ر م**).

ـ مفهوم الأخلاق:

جاء في اللسان "الخلق بضم اللام وسكونها بمعنى الطبيعة التي يخلق بها الإنسان وهو الدين والطبع والسجية والجمع أخْلاق، والخُلُق في قوله تعالى: " ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، [القلم: 4] ، أراد على عادة عظيمة، وقد فسرتْ عائشة "رضي الله عنها" هذه العادة فقالتْ: كان خُلُقه القرآن"، إذ ظل متمسكًا به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارمِ والمحاسنِ والألطافِ"(**ابن منظور، 1414هـ: 85/10 –86، خ ل ق**).

ـ مكارم الأخلاق عند العرب

أولًا / مكارم الأخلاق عند العرب في الجاهلية.

الشِّعر كان يمثل حياة العرب في الجاهليةِ بكلِّ تفاصيلها في السلم والحرب " أو قلْ إن شئتْ هو الحياة الجاهلية، فقد كان الوسيلة الوحيدة لإذاعة المحامد والوسيلة الإعلامية الوحيدة، وكانت ذاكرة العربي تحفظ وتعي، وكانت القبائل لا يهنئ بعضها بعضًا إلا ببزوغ شاعر، أو ولادة فرس؛ ولعل السبب في ذلك أن الشاعر كان ملاذ القبيلة وحامي ذِمارها، والمدافع عنها، وعنوان فكرها، وثقافتها، وحامل لواء فخرها، وكانت للشعر مكانة في النفوس، وفي الحياة الجاهلية كلها، إذ يرفع بيت الشِّعر قدر قبيلة خاملة ويضع قدر قبيلة شريفة". (**ظلام، 1992م :38**).

وكانت طبيعة الحياة الجاهلية وبيئتها العامل الرئيس في نشأة المكارم، إذ كانت بطبيعتها الصحراوية إلى حد ما؛ تُوجب عدم الاستقرار، والقحط والفقر، وخضوع الناس تحت سيطرة مَنْ يحدُّ من حريتهم من أجل قوت يومهم، فإن المكارم الأخلاقية وجبتْ عليهم في تعامُلهم وأخذ المواقف في ظل هذه المعيشة.

إلى جانب نمط هذه المعيشة، فإن الشِّعر عند العرب "شمل ذكر أخبار العرب ومكارمهم التي كانوا يتصفون بها والمفاخر، وتعداد الحوادث، حتى سُمِّيَ (ديوان العرب)؛ أي سَجَّل تاريخهم."(**عمر فروخ، 1981م : 73/1**)، وكل فرد ينتمي إلى قبيلة ما، وكأنها تشكل هيئته أو دولته، ولربما نجد كل قبيلة لها شاعر يدافع عن قبيلته ويفتخر بها ويمجدها ويذكر فضائلها ومكارم أخلاقها، إذ أخذ الشعراء "يؤمون الأسواق الخاصة والأسواق العامة الكبرى؛ لينشر كل واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه، مع العلم بأن هذه الأسواق كانت في الأصل للتجارة، مما جعل الناس يتخذونها مواسم قومية، أو أدبية، لاجتماع الناس فيها وربما طلب أحدهم في أحد هذه المواسم غريمًا، وأشهر هذه الأسواق ـ أو المواسم ـ ذو المجاز، وذو المجنة، وعكاظ، تجتمع قبائل العرب فيها، فيتعاكظون؛ أي يتفاخرون، ويتناشدون."
(**عمر فروخ ، 1981م : 73/1–74**)، وبهذا فإن الشِّعر استحوذ بشيء لا بأس به في ذكرِ مكارم أخلاق الأقوام.

فنجد امرؤ القيس رغم فحشه في شعرِه يجعلُ الأخلاق مصير هِمته ومبلغ كَسبه بقوله: (**ديوانه: 2004م : 78**).

وَكُلُّ مَكارِمِ الأَخْلاقِ صــارَتْ إِلَيْـهِ هِمَّتي وَبِـهِ اكتِســـابي

وفي العصر الجاهلي "التزم الشاعر بمجموعة من القيم تتمثل في الفروسية والمروءة والكرم، فما من شاعر جاهلي إلا وكان ملتزمًا التزامًا كاملا بهذه القضايا وعلى رأسها قضايا القبيلة." (**محجوب، 2006م : 137**).

ومن الشعراء الذين التزموا بالمروءة خلقًا، والكرم شيمة، حاتم الطائي الذي يخاطب زوجه قائلا: (**ديوانه، 1986م: 23**).

أماويّ إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ

أماويّ إني لا أقولُ لســـائلٍ إذا جاءَ يوْمًا، حَلّ في مالِنا

أمـاويّ إمـا مـانعٌ فمُبينٌ وإما عَطاءٌ لا يُنَهْنهُهُ الزجْرُ

أمـاويّ مـا يُغني الثراءُ عن إذا حشـرجتْ نفس وضـاق

وأكثر الشـــعراء الجاهليين التزامًا هو زهير بن أبي سُـــلمى دعوته إلى السّـــلام في معلقته بين قبيلتي عبس وذبيان، حيثُ اســتمرتْ الحرب بينهما أربعين عامًا، عُرفت بحربِ داحس والغبراء خلدها بأبيات في الحكمة تلخص تجاربه وتجارب الســـابقين له في الحياة، وكلها تحض على فضـائل المروءة من حماية للجارِ وكرمٍ وعِفةٍ وصـدقٍ، وإباء وحلم ودفاع عن الحقِ، إذ يقول في قصيدة له:(**ديوانه، 2005م :66**).

فأقســـمتُ بالبيتِ الذي رجـالٌ بنـوهُ مـن قـريش

يمينًا لنعمَ الســيدانِ وجدتما على كلّ حالٍ من ســـحيل

والشجاعة من المكارم التي تحلى بها الشاعر في الجاهلية، والتي تجلتْ في صورة للقبيلة المحاربة، تلك القبيلة التي تبدو وكأنها كتيبة حربية فيها القائد البطل المطاع والفرسان المطيعون، وقد عبّر لنا زهير بن أبي سُلمى عن كل ذلك بقوله: (**ديوانه، 2005م :48**).

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوالَ الرماح لا قصـــارٌ لا

وإنْ يُقْتَلُوا فيُشْـــتَفَى بدِمائِهِمْ كانُوا قَديمًا مِنْ مَنَايَاهُمُ القَتلُ

وتتجلى أيضًا مكرمة الشجاعة في شعر عوف بن عطية حين يصف قومه بأنهم يلبسون جلود الأسد وجلود النمور حين يدخلون المعركة؛ وذلك تعبيرًا عن الشجاعة والإقدام في الحرب، ونلمح ذلك في قوله: (**الضبي، 1963م : 328**).

ونَلْبَسُ لِلْعَدُوِّ جُلودَ أُسْـــدٍ إذا نَـلْـقـاهُـمُ وجُـلـودَ نُمْـرِ

ومن بين القيم التي تحلى بها الشاعر الجاهلي، ودعا إليها الإسلام فيما بعد مكرمة التضحية والإيثار، فنرى السيادة والتواضع عند حاتم الطائي في قوله: (**ديوانه، 1986م: 9**) .

وما أنا بالســـاعي بفضـــل زمامها لتشرب ما في الحوض قبل الركائبِ
فمـا أنا بالطـاوي حقيبـة رحلهـا لأَرْكَبَهـا خِفًّـا وأترُكَ صـــاحبي
إذا كنـت ربًا للقلوص فلا تـدعْ فيقَكَ يَمشِي ـــ خَلفَها ، غيرَ راكِبِ

وفي تبيان لهذه الأبيات "فهو لا يســقي ناقته قبل غيره، ولا يركب عليها وحده، ويدع صاحبه يمشي خلفها، وهو خُلق يعبّر عن تمسكه بقيمٍ دينيةٍ دعتْ إليها الحنيفية، ثم المســيحية قبل حاتم، ودعا إليها الإسلام بعده. (**عبد الجليل: 2001م: 50**).

ولا يفوتنا في هذا المجال حول ذكر مكارم ومحامد الأخلاق في الشِّعر أن نغفل قول جورج غريب في كتابه: "ازدهر الشِّعر في العصر الجاهلي وعلتْ منزلة الشاعر فطالما رأينا البيت الواحد يرفع قومًا وينزل آخرين". (**غريب، 1983م: 15**).

ـ مكارم الأخلاق في عهد صدر الإسلام

كان لبزوغ فجر الإسلام الأثر الواضح على حياة المجتمع عامة من الناحية الدينية، والأدبية، والسياسية، إذ كانت الحياة الدينية لها الأثر العميق في أدبِ صدر الإسلام، فكان الرسول الكريم عليه الصلاة السلام قدوة للمسلمين، حيثُ اتخذوا القرآن الكريم دستورًا لهم؛ فانعكس ذلك على الأدب والشِّعر بشكل خاص، إذ بات منصبًا في الذَّودِ عن الرسولِ والإسلام، وسوف نورد في هذا البحث نماذجًا؛ وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، ومن ذلك قول حسان بن ثابت: (**ديوانه، 1929م :329**)

وجـارُهمُ فيهم بعليـاءَ بيتـهُ له ما ثَوَى فينا الكرامةُ والبَذلُ
وقـائلهـمْ بالحـقّ أولُ قـائـلٍ فحكمهمُ عدلٌ وقولهمُ فصـــلُ
إذا حارَبوا، أوْ سالموا لم يُشبَّهوا فحرْبهمُ خوْفٌ وسـلمهمُ سَـهْلُ

في هذه الأبيات جُملة من المكارمِ، نجد إكرام الجار وصونه متى ثوى عندهم، والقول الحق والحكم العدل، والقول الفصل المبني على رجاحة العقل، ويردف في عجز البيت الثالث بقوله: "فحرْبهمُ خوْفٌ وسلمهمُ سَهْلُ"؛ دلالة واضحة على شجاعتهم وقت المعارك، إضافة إلى ذلك أنهم دعاة سلام لا حرب.

ونضيفُ قوله أيضًا:(**ديوانه، 1929 : 289 – 290**).

نَفى الـذّمَّ عنّـا كـلَّ يوْمٍ كريهـة طِعـانٌ كتضْـــريم الأباءِ المحرَّقِ
وإكـرامُنـا أضْـــيـافَنـا ووفـاؤنا بمـا كـانَ منْ إلٍّ علينـا ومَوْثِقِ
فنحنُ وُلاةُ النـاس في كـلّ موْطنٍ متى ما نقلْ في الناسِ قولاً نصـــدقِ

تـوفـقُ في أحـكامـنـا حـكـماؤنا إذا غَـيْرُهُمْ، في مـثـلِـهـا لم يـوَفَّـقِ

ففي هذه الأبيات المكارم جليّة واضحة فنراه يعتزُ بقومهِ وعدِّهم للعديد من المحامد التي يشتد بها العربي إزره أينما حل، ألا وهي الشجاعة والإقدام إكرام الضيف والوفاء بالعهدِ والصدقِ ورجاحِة العقلِ والحكمةِ .

ومن خلال ما تم سرده يتضح لنا أن القيم النبيلة التي جاء بها الإسلام؛ كان لها الدور الأساس في تهذيبِ الأخلاقِ؛ إذ انعكس ذلك على الشِّعر، وما يحمله من موضوعات وألفاظ ومعانٍ وأساليب وأغراض، إضافة إلى الأحاديث النبوية، وتعاليم ودروس الرسول الكريم، إذ أصبحتْ منهاجًا قويمًا يسيرُ عليه الأدباء والشعراء في ظل هذه النهضة الأدبية.

ومن المسلَّم به في ضوء ما سبق أن المكارم أقرَّها الإسلام وهذَّبها وفقًا لتعاليم الدين الإسلامي، وعن عائشة "رضي الله عنها" قالتْ: "قد جاء الإسلام وفي العرب بضعٌ وستون خصلة، كلها زادها الإسلامُ شِدَّةً، منها قِرى الضَّيف، وحسنُ الجوار، والوفاءُ بالعهدِ". (**ابن أبي الدنيا ، بدون: 26**).

المطلب الثاني

مكارم الأخلاق في العصر الأموي

وبعدما تطرقنا لعرض موجز لمكارم الأخلاق في الجاهلية والإسلام، نتطرق فيما يلي إلى حديث عن مكارم الأخلاق في العصر الأموي، فمن خلالِ البحثِ والاستقراء يمكننا القول: إن العصر الأموي لم يكن بعيدًا عن القيمِ الروحية، والأخلاق الإسلامية الفاضلة التي انعكستْ على هذا العصر، ولعل قُرب هذا العصر من النبع الأول للإسلام ووجود مجموعة من الصحابة الأجلّاء الذين كان لهم شرف صحبة الرسول ﷺ ؛إذ طبع الأدب بطابعٍ ديني لم يسمحْ بظهور الأدب الماجن والشِّعر الساقط كما حدث فيما بعد.

وعند الوصول إلى الأدب العربي أو الشِّعر على وجه الخصوص في عصر الدولة الأموية "وجدناه بدأ في فضاء أوسع وأكثر رحابة مما كان عليه في عهد الرسول وصحابته؛ وذلك لأسباب عدة يأتي في مقدمتها تعدد بيئات الأدب الأموي وعواصمه وثانيهما نهضة ما يسمى بالشِّعر السياسي المترتب على الصراعات الحزبية بين الأحزاب المتنافرة آنذاك وهي الحزب الأموي الحاكم والزبيريون والخوارج والشيعة، وثالث هذه الأسباب بزوغ نجم شعر الجدل والنقائض على يد الشعراء

الكبار الفرزدق وجرير والأخطل ومن شاركهم في ملحمتهم الكبرى، ورابع هذه الأسباب المنحنى الجديد الذي أخذه شعر الغزل في تلك الفترة وتحليقه في سماوات جديدة". (**حسب الله، 2007م: 149**).

ويمكن تلخيص أول الأسباب التي أدتْ إلى نهضة الأدب والشِّعر في العصر الدولة الأموية، "فسنجدها تتصل بتعدد بيئات هذا العصر، وتعدد عواصمه، فقد انتقلتْ عاصمة الخلافة في العصر الأموي إلى أكثر من بلدٍ طيلة عهد الدولة الأموية 41/ 132 هـ، والذي استمر قرابة إحدى وتسعين عامًا، حكم العرب والمسلمين فيها ثلاث عشرة خليفة عربيًا، وقد ترك هذا التنوع أثره الواضح في بنيان الشِّعر الأموي وازدهاره، وفي بقائه حيًا على مدى التاريخ والأزمان". (**حسب الله، 2007م: 150**).

وفي عرض لمكارم الأخلاق الذي هو موضوع دراستنا، حاولنا ذكر نماذج من المكارمِ التي وردتْ عند بعض شعراء النقائض على سبيل المثال لا الحصر:

. قول الفرزدق: (**ديوانه، 1987م: 390**).

وَجَـدْنَا أَعَزَّ النَّـاسِ أَكْثَرَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِالمَكَـارِمِ يُعْرَفُ

في صورة أعم للمكارم ودون تخصيص يذكرُ الفرزدق والذي يُعدُّ من أبرزِ فحول شعر النقائض، مفتخرًا بأن آبائه وأجداده يتوسمون بالمجدِ والعزِّ والشجاعة وإكرام الضيف وحماية المستجير عن غيرهم من القبائل.

. وقوله أيضًا: (**ديوانه، 1987م**: 495).

وَالضَّـامِنُونَ عَلَى المَنِيَّةِ جَارَهُمْ وَالمطْعِمُونَ غَـدَاةَ كُـلِّ شَمَـالِ

نجدُ مآثر ومكارم قومه في صدر البيت وعجزه، فهم المدافعون عن الجارِ، والمطعمون للضيفِ عندما تكون الرياح شديدة البرودة.

ولا يختلف شاعرنا جرير عن صاحبه الفرزدق في التحلي بمكارم الأخلاق، ونلمح ذلك في قوله: (**ديوانه، بدون: 372**).

وَأَمْنَعُ جِيرانًا وَأَحْمَـدُ فِي القِرَى إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالعُ

الشاهد في صدر البيت هو مكرمتي حماية المستجير والكرم والجود من بين السمات التي تتوسم بها قبيلته.

وسوف نقتصر في هذه الدراسة على شاعر من شعراء النقائض وهو الأخطل؛ لنتعرف على أبرز مكارم الأخلاق التي تحلى بها، ونسجها في خيوط شعره؛ ولكن قبل كل شيء لا بُد من التطرقِ إلى الشاعر، ولو نبذة مختصرة فمن هو الأخطل؟

التعريف بالشاعر:

الأخطل واسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي نسبة إلى قبيلة تغلب (**الآمدي، 1991م :24**).

وقيل إن الأخطل اسمه (غويث)، ويُكنى أبا مالك. (**البغدادي، 1997م: 461/1**).

ومن خلال البحث والاستقراء لوحظ تباين واختلاف الآراء حول ولادة الأخطل؛ ولكن ربما نقترب إلى نحو ما من دالة ذكرها ابن سلّام في كتابه بقوله: "وكان الأخطل من أسن أهل طبقته".(**الجُمحي، بدون: 454/2**).

والأخطل من طبقة الفرزدق وجرير والراعي النميري، ونسطيع أن نستنبط من أخبار رواها البعض القدامى أنه "كان متمسكًا بدينه المسيحية مستجيبًا لشعائره ومعتقداته" .(**الأصفهاني، بدون: 321/8**).

وذُكر في كتاب تاريخ الأب العربي عن الأخطل "كان شغوفًا بالخمر شغفًا شديدًا، فقد كان يشرب الخمر ويدمنها حتى نراه يذكر في حديث له مع عبد الملك أنها هي التي تمنعه من إعلان إسلامه، وفي أخباره وأشعاره ما يدل على انصياعه لدينه، فقد كان يتمسح بالقساوسة تبركًا، وكانوا إذا أنزلوا به عقابًا خضع لهم واستكان، ونراه يذكر الصليب في ديوانه كما يذكر قديس قبيلته مار سرجيس ويُقْسم بالمسيح والرهبان". (**ضيف، 1989م : 264**).

أما عن سبب تسميته بالأخطل تعددت الآراء واختلفت في ذلك فنورد بعضًا منها، حيثُ "ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه فقال له: يا غلام إنك الأخطل فغلبت عليه." (**الأصفهاني، بدون: 290/8**).

وجاء في لسان العرب لابن منظور "إنما سُمِّي بذلك لطول لسانه وقيل : هو من الخطلِ في القولِ أي: الفحش في القولِ وطولِ اللسانِ".(**ابن منظور، 1414هـ: 210/11، خ ط ل**).

أما عن سبب دخوله في الهجاء يقول الدكتور بهاء حسب الله في كتابه: " ولم تقفْ دائرة النقائض عند الجد بل إلى دوائر أخرى تتبدل فيها الوجوه والشخوص والدوافع والعلل، فإذا كانت الخلافاتِ المجردة قد أشعلتْ الحرب بين جرير والفرزدق أو بين جرير والراعي النميري، فأننا نلمس نمطية أخرى من الخلافات تشعل النقائض بين جرير وفحل آخر

من فحول هذا النهج الشِّعري، ألا وهو الأخطل التغلبي النصراني، وسبب هذا الخلاف هو وقوف جرير إلى جانب قيس أبان حكم الزبيريين للعراق، في حين وقف الأخطل إلى جانب بني أمية ضد قيس وأتباعها من المعارضين لحكم بني أمية، ومعروف أن قيسًا كانت تناصر ابن الزبير وتؤازره ضد الأمويين، ونجمَ عن ذلك أنه نشبت طائفة من الحروب بينها وبين أنصار بني أمية من تغلت، ووقف الأخطل مُهاجيًا لقيس وألسانها ممثلا في جرير فبادله جرير بأقذع المعاني وأجرأها وأشنعها واتخذ من نصرانيته مدخلا للهجوم عليه شخصيًا، ويُقال: إن أسبابًا أخرى أشعلتْ الحرب بين جرير والأخطل: منها وقوف الأخطل إلى جانب الفرزدق في حَربِه الكلامية ضد جرير، وأكد النقاد القدامى أن الأخطل كان منحازًا للفرزدق وأوردوا لذلك أكثر من رواية". (**حسب الله، 2007م : 182**).

فيقول الأخطل في إحدى قصائده موجهًا كلامه لجرير: (**ديوانه، 1994م :270**).

ألَمْ تـرَ أنّ عـودي تـغـلـبيّ نُضـــارٌ هـزَّهُ كـرَمٌ فـطـالا
وقَـوْمي تَـغْلِـبٌ والحيُّ بَكْرٌ فمَنْ هـذا يوازِنُنـا فِضـــالا

فرد عليه جرير قائلا: (**ديوانه، بدون: 450**).

قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلّمَا شـبحَ الحجيجُ وكبروا إهلالا
عَبَـدُوا الصّـــلِيـبَ وَكَـذّبُوا وبجبرئيـلَ وكـذبوا ميكـالا

أما عن سبب دخوله في الهجاء بين جرير والفرزدق فكان السبب في ذلك هو "اجتماع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان بشر يغري بين الشعراء فقال للأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير، فقال: أعفني أيها الأمير، قال: احكم بينهما فاستعفاه بجهده، فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشؤوم ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر، فلم يرض بذلك جرير، وكان سبب الهجاء بينهما فقال جرير في حكومته: (**الأصفهاني، بدون، 8/326-327**).

يا ذَا الغباوةِ إنّ بِشْراً قد قَضَى ألاَّ تجوزَ حكومـةُ النَّشْـــوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلها إنّ الحكومـة في بني شَـــيْبـانِ
قَتلوا كُلَيْبَكُم بِلَقْحـةِ جـارِهِمْ يا خُزْرَ تَغْلِبَ لســـتُم بِهِجانِ

فقال الأخطل يرد على جرير: (**ديوانه، 1994م: 343/344**).

وإذا وردتَ الماءَ كـان لـدارِمٍ عِفْوَاتُه وســـهولةُ الأعطـانِ
فإذا كُلَيْبٌ لا تُسَـاوِي دَارِمًا حتى يُسـاوَى حَزْرَمٌ من بأَبَانِ
وإذا وضـعت أباك في مِيزانهم رَجَحُوا وشـال أبوك في الميزانِ
ولقد تَنَاسبتمْ إلى أحسـابكم وجعلتُم حَكَماً من السُّـلطان

لقد ظل الأخطل يهاجي جرير بشكلٍ يختلف عن هجاء جرير والفرزدق، حيثُ نجدُ "جملة النقائض التي بين جرير والأخطل قد أخذتْ شكلا شبه جدي، وربما كان ذلك بسبب اختلاف الديانة بينهما، فقد تهاجيا حتى حضر الأخطل الموت ، فقد قيل له ألا توصي فقال توًا.(**حسب الله، 2007م: 185**)

وقول الأخطل تجلى: (**الأصفهاني، بدون: 8/316**).

أوَصّـــي الفرزدق عنـد بأُمّ جـريـرٍ وأعـيـارِهـا

فرد عليه جرير بقصيدة جاء فيها: (**ديوانه، بدون: 303**).

زَارَ الـقُـبُـورَ أبُـو مـالِـكٍ فَـكَـانَ كَـألأمِ زُوّارِهَـا

ـ شخصية الأخطل وأسلوبه الشِّعري.

من خلالِ البحث والتجوال والتنقيب عن حياةِ شاعرنا وجدنا بأن شخصيته تتميز بالذكاء والدهاء الواسع، بالإضافة إلى الجرأة والحماسة، فكانت له مكانة مرموقة بين قومه، وقد شفع لعدة أفراد لدى الخليفة، وكان يخضع للرؤساء الروحانيين لدينه والأمويين خضوع الطفل، غير مهتم بسخطِ الناقمين عليه.

وهذا ما رفع من قيمة شعره، وعلتْ منزلته الشِّعرية بين أترابه، وعن منزلته الشِّعرية، " قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح، وكان عبد الملك بن مروان يُجزلُ عطاء الأخطل، ويفضّله في الشِّعر على غيره". (**شمس الدين الذهبي، 1985م: 4/589**).

وفي أخباره في كتاب الأغاني" سُئِل حماد الراوية عن الأخطلِ فقال: ما تسألوني عن رجل قد حبَّبَ شعرُهُ إليَّ النصرانيَّة".(**الأصفهاني، بدون:8/295**).

وفاته

توفي الأخطل كما ذكر ابن كثير في كتابه في أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك "سنة اثنتين وتسعين للهجرة". (**ابن كثير، 1988م : 9/100**).

المطلب الثالث

نماذج من مكارم الأخلاق في شعر الأخطل

من مكارم الأخلاق التي سوف نتناولها في هذا البحث هي الكرم، والشجاعة، ومنع الذِّمار، ورجاحة العقل والصبر (الصبر في الحرب، والصبر عند الموت)؛ وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر ونبدأ:

أولاً: الجود الكرم.

إن الكرم هو كثرة العطاء من غير سؤال للناس من مال أو طعام أو غيره عن طيبِ خاطرٍ، وهو من الأخلاق النبيلة والعظيمة التي عرفها منذ الأزل أصحاب النفوس الكريمة، واعتنقوها في تعاملاتهم وجعلوها غاية المجد وأساس الفخر والرفعة، وذكرنا آنفًا ما أورده صاحب اللسان عن الكرم، إضافة أنه ليس ثمة فرق كبير عند العرب بين الجود والكرم، فكلاهما يُفيدُ الإنفاق الكثير إلا أن الكرم يتصف بالشمول بحيثُ يدخل فيه أنواع من الخير والشرف والفضائل، أما الجود "فهو السخاء" .(**ابن منظور، 1414هـ: 138/3 ، ج ود**).

والجدير بالذكر أن الشعراء جعلوا الجود خلقًا أو مكرمة لا تتعلق بالفقر والغنى يقول في ذلك ابن مُطير بن الأسدي: (**أبو عمر القرطبي، بدون:629/1**).

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ولكنّـه خِيمُ الرّجـال وخيرُهـا

ومن المسلم به أنه ليس شرطًا أن يكون الكريم صاحب غنى وثراء، وإنما الثراء ثراء الأخلاق والفضائل، وهذا ما نلاحظه عند العرب، وفي الشِّعر العربي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مكرمة الكرم في شعرِ الأخطل:

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :271**).

أَلَسْـنا بالقِرَى نَمشـي إليهِمْ سراعاً قبلَ أن يضعوا الرحالا

يقصدُ الأخطل بهذا البيت التمادي في إكرام الضيف، إذ يسوق إليه الطعام قبل أن يضع الضيوف رِحالهم؛ لنجد صورة الاعتزاز والفخر بهذه المكرمة.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :270**).

فسَـلْني بالكرامِ فـإنَّ قَوْمي كـرامٌ لا أُريـدُ بهـا بِـدالا

مفهوم الكرم في هذا البيت من خلال التركيز في كونِ الكرم سجية وطبعًا في قومه؛ تحقيقًا لعنصر الكمال فيهم ببلوغ أقصى درجاته، وأسمى معانيه؛ لتتحقق نزعة التفوق والعلو بين قبائل العرب.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :168**).

والمُطعِمون إذا هَبّتْ شـآمِيَةٌ تُزْجي الجَهَامَ سَديفَ المُرْعِ الواري

مكرمة إكرام الضيف جليّة في هذا البيت في قوله: "المطعمون إذا هبت شامية"، في بيان مدى جُودِهم وكرمهم للضيفِ، وإن كانت الرياح شديدة البرودة.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :271**).

كرامُ الرفـدِ لا نعطي قليلاً ولا نَنْبو لسـائِلنـا اعْتِلالا

يذكر الأخطل في هذا البيت من مآثر قومه وأجداده مكرمة الكرم والعطاء، فهم من قومٍ إن أعطوا أجازوا الكثير، ولا يجدوا العلة الكافية لذلك.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :271**).

أَلَسْـنا نَحْنُ أقراهُمْ لضَـيْفٍ وأوفـاهُمْ إذا عقـدوا حبـالا

وأجبرهُـمْ لمـختبطٍ فـقيرٍ بخير حـينَ قـربَ ثم نالا

إذا تتبعنا أبيات الأخطل هذه نجدها "تنصبُ في قالب الفخر ولا تخرج عنه، وتُبدي لقارئها وكأنها تحمل عبق الجاهلية الأولى، من حيثُ اشتمالها على معنى الفخر المحض والتباهي، ويرى في هذا الأصل العود الذهبي لمعاني الكرم والحكمة والفداء، وكثير ما يكرر المعاني ومرادفاتها في الفخر على سبيل فخره بإكرام الضيف والوفاء بالعهد". (**حسب الله، 2007م : 183**)..

ثانيًا: الشجاعة.

قال صاحب اللسان "الشَّجاعةُ شِدّةُ القَلْبِ في البأْس.(**ابن منظور، 1414هـ : 173/8، ش ج ع**).

ومثلها في ذلك مثل الكرم فهي مكرمة لا تتعلق بالغنى والفقر، وإنما هي وليدة طبيعة حياة العرب الصحراوية والتي كانت القبائل تتناحر وتتقاتل كما ذكرنا سابقًا، وكأن هذه السِّمة طابع طُبعت به العرب.

والشجاعة لا يضيرها أبدًا قلة العتاد والعدة؛ لأنها تحمل في طياتها رباطة الجأش، والحكمة والعزم؛ ولأنها استعدادًا من النفس للقتال وتحمل أعبائه.

لنذكر قول الأخطل في الشجاعة:

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :272**).

إذا ملـتْ فوراسـنا وكلـتْ عتـاقُ الخيـلِ زدناهـا كلالا

جنائِبُنا العِتاقُ لها صَـهيلٌ بأيـدينـا يعـارضـنَ البغـالا

إذا نادى مُنـادينـا ركِبْنـا إلى الداعي فَطِرْنَ بِنا عِجالا

يذكر الأخطل مكرمة الشجاعة والقوة في هذه الأبيات، فإن ملتْ الفوارس في ساحات الوغى زادوها عزيمة ومُضي، في صورة دلتْ على الشجاعة المتتالية، ولا يتأخرون حين يُنادي مناديًا قومه.

ـ قوله: (، **ديوانه، 1994م :168**).

المانعينَ غداةَ الرَّوْعِ ما كرِهوا إذا تلبسَ ورادٌ بصـــدارِ

في هذا البيت يبرز الأخطل مكرمة الشجاعة والإقدام التي يتحلى بها قومه في تواجدهم وقت الفزع والخوف، وحمايتهم لثغور في وقت الحرب.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :120**).

فإنّا حَيْثُ حَلَّ المِجْدُ يوْمًا حَلَلْناهُ وسِـرْنا حَيْثُ سـارا

الشاهد في هذا البيت مكرمة الشجاعة بقوله:(حيثُ حل المجد يومًا حللناه)، دلالة على أن شجاعتهم وقوتهم مكنتْ لهم السؤدد بين القبائل إذ تربعوا على قمة المجد والشرف.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :284**).

ومـا يزدهيني في الأمور أخفهـا وما أضْـــلعَتْني يوْمَ نابَ ثقيلُها

ولكنْ جليلُ الرأي في كل موطنٍ وأكرمُ أخلاق الرجـال جليلُها

في هذا البيت مكرمة تُعدُّ غنية بالمعنى بحيثُ يكون الرأي السديد أشد مُضاءً من السيفِ، وأجدى منه في بعض المواقف؛ ولكن ذلك لا يتم إلا بوجود صفات منها الذكاء والحكمة والخبرة وصدق العزيمة ونحوها؛ ليتبين لنا أن الشاعر قصد أن شجاعة الرأي ليستْ بعيدةٍ عن شجاعة السيف عند قومه.

قوله : (**ديوانه، 1994م: 166**).

مـا زال فينـا رباطُ الخيـل وفي كليبٍ رباط الذلّ والعارِ

في بيت الأخطل يذكر مكرمة الشجاعة والقوة بأسلوب الكناية، والذي يشكل لونًا من ألوان التعبير الشِّعري في إبراز مغزى الشاعر، حيثُ كنى في قوله : (رباط الخيل)، إذ نسب إلى قومه الفروسية والشجاعة، وتفصيلا جاءت الكناية جليَّة عن نسبة.

ثالثًا/ منع الذِّمار.

جاء في لسان العرب "هو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفاع عنه." (**ابن منظور، 1414هـ: 312/4 ، ذ م ر**).

ومنها على سبيل المثال:

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م: 151**).

ولو سـئلتْ عني أُميةُ خبرتْ لها بأخٍ حامي الذِّمارِ نَصُـورِ

يذكرُ الأخطل مكرمة الدفاع عن الذِّمار في بيته؛ مؤكدًا بأن الكل على درايةٍ بهذه المكرمة التي يتصف بها.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م: 119**).

ألَمْ تشـكرْ لنـا كلـبٌ بـأنا جَلَوْنا عَنْ وجوهِهِمُ الغُبـارا

كشـفنـا عنهمُ نزواتِ قيسٍ ومثـلُ جموعِنـا منعَ الذمـارا

تتبين مكرمة القوة والشـجاعة في هذيْن البيتيْن واللذان نسـبها لقومه وحماية ما ينبغي حمايته، فجاء توظيفه لكلمة الذِّمار؛ تأكيدًا على ما كانت العرب تفتخر بحمايته والدفاع عنه، فقصـد أنه وقت القتال واحتدام المعارك جلّوا الغبار وحسموا المعركة بالشجاعة والإقدام.

قوله: (**ديوانه، 1994م: 182**).

الشـاهد في هذيْن البيتيْن (لا مُضِـيعٌ ذِمارَها)، إذ يبرز مكرمة منع الذِّمار حيثُ إنها مُلازمة له على الدوامِ.

رابعًا/ حماية الجار.

وهي فضيلة ومكرمة كان العرب يعتزون بها، ولربما من المراتب الأولى من مكارمهم وأعلاها على الأقل من وجهة نظري كباحثة، ولا يمكن تجزأتُها عن الشجاعة والرجاحة العقل، ولنا في شعر الأخطل ما يثبت نص قولنا:

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م : 271**).

ونُكْرِمُ جـارَنا مـا دامَ فينـا ونُتْبِعُـهُ الكرامَـةَ حَيْـثُ مـالا

يذكرُ الأخطل في صـدر البيت مكرمة إكرام الجار، فأينما حلَّ يكرمونه، أما في عجزه يذكر مكرمة حماية الجار، فلا يسـتطيع أحد النيل أو التَّمكن من جارهم ما دامت قبيلته موجودة.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :119**).

وكـانوا مَعْشَـرًا قَدْ جاوَرونا بمنـزلـةٍ فـأكـرَمْنـا الجِـوارا

يتحدث الأخطل عن حُسن إكرام الجار في حمايته وإحاطته والدفاع عنه، ويُبرز علو الأخلاق بها وتبيُنها للقاصي والداني .

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :271**).

لعَمْرُكَ ما يبيتُ الجارُ فينا على وجلٍ يحاذرُ أنْ يغالا

يُضيف الأخطل في هذا البيت مكرمة حُسن الجِوار، وأن جارهم لا يبيتُ يترقب الخوف والغدر، فهم بمكانة المدافع عنه والحامي له.

خامسًا / رجاحة العقل.

الرَّجاحة "الحِلم على المَثَل أَيضًا وهم ممن يصفون الحِلم بالثقل كما يصفون ضده بالخِفَّة والعَجَل وقوم رُجَّحٌ ورُجُحٌ ومَراجِيحُ ومَراجِحُ حُلَماءُ." (**ابن منظور، 1414هـ: 445/2 ، ر ج ح**).

نذكرُ منها في شعر الأخطل:

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م: 37**).

ما إنْ كأحلامِهِمْ حِلْمٌ إذا قَدَروا ولا كبسطتهم بسطٌ لدى الغضبِ

الأخطل في هذا البيت يذكر مكرمة الحلم والعقل، قاصدًا التباهي والتعالي بقبيلته، حيثُ لا أحد يوازي رجاحة ورزانة عقول آبائه وأجداده في السلم والحرب، إضافة إلى تكراره للإيقاع نفسه في صدر البيت وعجزه للنغمة (كأحلامهم حلم، كبسطهم بسط)، دلالة على تأكيدِ رجاحة عقولهم.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م :199**).

قد كشّفَ الحِلْمُ عني الجهْلَ عني الضبابةُ لا نكسٌ ولا

يُبرز الأخطل المكرمة الأم وهي رجاحة العقل؛ إذ تحليه برجاحة العقل وانقشع عنه الخوف وطأطأة الرأس.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م : 270**).

وقَوْمي تَغْلِبٌ والحيُّ بَكْرٌ فمَنْ هذا يوازِنُنا فِضالا

تصانُ حلومنا وترى علينا ثِيابَ الخَزّ تُبْتَذَلُ ابْتِذالا

يُضيفُ الأخطل مؤكدًا في هذيْن البيتيْن مكرمتي الفضل والحلم التي يتوسمان بها.

4. قوله: (**ديوانه، 1994م : 106**).

شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلامًا إذا قدروا

يذكر الأخطل مكرمة الحلم ويفتخرُ بها، وبأن قومه أعظم الناس أحلامًا.

سادسًا: الصبر.

الصبر من الفضائل العامة التي تندرج تحتها جملة من الأخلاق والصفات الحميدة، فهو" نقيض الجزع". (**ابن منظور، 1414هـ : 438/4، ص ب ر**).

ويُضيفُ صاحب اللسان في معنى الحليم " الحليمُ في صفة الله عز وجل معناه الصبور، وقال معناه: أنه الذي لا يستَخِفُّهُ عِصْيان العُصاة ولا يستفِزّه الغضب عليهم؛ ولكنه جعل لكل شيءٍ مِقْدارًا، فهو منته إليه". (**ابن منظور، 1414هـ: 146/12، ح ل م**).

ومن أمثلة ذلك في قول شاعرنا :

ـ الصبر في الحرب

ـ قوله: (، **ديوانه، 1994م : 120**).

وأطفأنا شهابَهُم جميعًا وشُبَّ شِهابُ تَغلبَ فاستَنارا

صَبرنا يوْمَ لاقَيْنا عُميرًا فأشبعنا معَ الرخَمِ النسارا

وكان ابنُ الحباب أعير عزًا ولم يكُ عِزّ تغلبَ مستعارا

من ضمن المكارم التي أبرزها الأخطل في شعره الصبر وخاصة الصبر في المعركة؛ دليل على الثباتِ والقوةِ والعزمِ في المكارم وعدم التخلف عن ساحات الوغى، وقصد يوم النّسار وهو اليوم الذي "تحالفتْ أسد وطيء وغطفان، ولحقتْ بهم ضبة وعدي، فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلًا شديدًا، فغضبت بنو تميم لقتل عامر، فتجمعوا حتى لحقوا طيئًا وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدي يوم الجِفار، فقتلت تميم طيئا أشدّ مما قتلت عامر يوم النّسار".(**أحمد الأندلسي، 1983م: 99/6**).

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م: 38**).

فنحنُ أخٌ لم يلقَ في الناسِ مثلُنا أخاً حين شابَ الدهرُ وابيضّ حاجبهْ

وإنا لصبرٌ في مواطنِ قومِنا إذا ما القَنا الخَطّيُّ عُلّتْ مخاضِبُهْ

وإنا لحمّالو العدو إذا عدا عَلى مَرَكٍ لا تُستَلَذُّ مَراكِبُهْ

يذكرُ الأخطل في هذه الأبيات مكرمة الصبر في المعارك؛ دلالة على شجاعتهم وقوة حَزمِهم.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م : 129**).

وما تَرَكَتْ أسْيافُنا مِنْ قبيلَةٍ تُحارِبُنا إلاَّ لها عِنْدَنا وِتْرُ

يذكرُ شاعرنا مكرمة الصبر في المعارك ؛ دلالة على أنهم لا يتركون ساحات الوغى ولا يتقهقرون إلا والقبائل التي تحاربهم لديها ثأر.

الصبر عند الموت.

ـ قوله: (**ديوانه، 1994م : 105**).

حُشْــدٌ على الحَقّ عيّافو الخنى أُنُفٌ إذا ألَمّتْ بِهِمْ مَكْروهَـةٌ صــبروا

تطرق شاعرنا في هذا البيت إلى التحلي بمكرمة أخرى ألا وهي الصبر عند المصيبة والبلاء، إضافة إلى أنهم يحشدون حشودهم دفاعًا عن الحق ولا يطيقون الفواحش بل يأنفونها.

سابعًا: المروءة.

جاء في لسان العرب المروءة هي "كمال الرُّجُولِيَّة مَرُؤَ الرجلُ يَمْرُؤُ، وتَمَرَّأَ تَكلَّف المروءة وتَمَرَّأَ بنا أَي طلب بإِكْرامِنا". **(ابن منظور، 1414هـ: 154/1، م ر أ).**

ومن أمثلة هذه المكرمة في قول شاعرنا :

ـ قوله: **(ديوانه، 1994م : 144).**

قومٌ إذا حاربُوا شــدّوا مآزرَهُم دونَ النّساء ولَوْ باتَتْ بأطْهارِ

البيت واضح في معناه وهو الشّدّ والحِرص في الدفاع عن العِرضِ، وهي المكرمة الأنبل عند العرب، إذ يُعدُّ التخلف في الدفاع عن العِرض من أعظم الكبائر.

ـ قوله: **(في ديوانه، 1994م : 72).**

ورَدَّ علَيْكُم مُرْدَفاتِ نِسـائكُم ببطحاءَ ذي قارٍ صلادمُ قرّحُ

فأنقذهن الضــربُ والطعنُ وأيـدٍ بأبطـالِ الكتيبـةِ تجرحُ

يذكر الأخطل مكرمة المروءة عند قومه في حمايتهم للنساء، فهم لا يخشون أحد في نسب وفضل هذه المكرمة، ويخصُ بالذكر موقعة يوم ذي قار، فهي يوم لبكر على العجم انتصر فيها العرب بشجاعتهم وبسالتهم وبراعتهم في القتال، فقد "كانت وقت بعث النبيﷺ وخبّر أصحابه بها، فقال: اليوم أول يوم انتصفتْ فيه العرب على العجم." **(جاد المولى، البجاوي، إبراهيم، بدون: 6)**، ومما يجدر قوله إن العرب كانت تصطحبُ النساء في الحروب لقضاء حاجاتهم وإعانتهم ورفع الروح المعنوية كما حصل في يوم بدر.

ـ قوله: **(ديوانه، 1994م: 348).**

دعاني أمرؤٌ أحمى على الناسِ عرضــه فقُلْـتُ لهُ لَبيـك لمّـا دَعـانِيـا

نرى في هذا البيت كيف يعرض الأخطل مكرمة الدفاع عن العِرضِ وحمايته، إذا ما دُعي لحمايته، إذ تُعدُّ من المكارم الفضيلة يتوسم بها العربي.

الخاتمة.

وفي نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى بعض النتائج التي رأينا من الأفضل إدراجها في نقاط ليتسنى للقارئ معرفة فحوى البحث، وهي.

- إن للشعر فضل في احتواء كبير لفضائل العرب ومآثرهم، وتوسع الأمر لحفظ أيامهم، في تلك الفترة.
- ليس هناك فرق بين الكرم والأخلاق بل الأخلاق تشتمل جميع المكارم التي يجب أن يتحلى بها الشاعر في نسج خيوط شعره، وخصوصًا أن شاعرنا عاش في عصر ازدهر فيه الأدب وعلت شوكته.
- لقد تعددتْ مكارم الأخلاق وتنوعت عند الشعراء في الجاهلية، وبعد ذلك أضاف الإسلام وزاد على هذه المكارم التي يتحلى بها الشاعر العربي الأصيل، معانٍ إسلامية سامية وقيمٍ نبيلة.
- تنوع الشِّعر الأموي، وظهرتْ فيه فنون جديدة في الشِّعر، منها فن النقائض؛ وذلك لتعدد البيئات والحكومات المتوالية مما أتاح الفرصة أمام الشعراء؛ لتنافس على ذكرِ محامدِ القوم وخصائلهم الحميدة ومكارم أخلاقهم والتعالي بها.
- تحلى الأخطل بشيم نبيلة وأخلاق فاضلة أوردها في شعره مِن كرمٍ وشجاعة ومنع للذِّمار والصبر...وغيرها.
- نهل الأخطل من مناهلِ القرآن والسنة رغم نصرانيته، وما حثَّتْ عليه من مكارم الأخلاق، وخصوصًا إن شاعرنا عاش في عصر ظهور الإسلام، ورأينا ذلك في شعره من خلال ما تم سرده من نماذج.

المصادر والمراجع

القــرآن الكـريم، ضُبط على ما يوافق رواية قالون لقراءة نافع، 1429هـ ـ 2008م، دار الفخر الإسلامي (دمشق ـ بيروت)، الطبعة الأولى.

- الآمدي، أبو القاسم، 1991م، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، تحقيق: د. ف كرنكو، دار الجيل بيروت، ط/1.
- ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، (د.ت)، تحقيق: مجدي إبراهيم، مكتبة القرآن ـ القاهرة.
- الأصفهاني، أبو الفرج، (د.ت)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر ـ بيروت، ط/2.
- الأندلسي، الفقيه أحمد، 1983م، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط/1.

- البرقوقي، عبد الرحمن، 1929م، شرح ديوان حسّان بن ثابت، مطبعة الرحمانية ـ مصر.
- البغدادي، عبد القادر ، 1997م، خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخفاجي ـ القاهرة، ط/ 4.
- البيهقي ، أحمد بن الحسين ، 2003م، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/3.
- الجرجاني، القاضي، 2006م، الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل أبراهيم، علي البجاوي، مطبعة الحلبي، ط/1.
- الجُمحي، ابن سلّام، (د.ت)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني ـ جدة.
- جاد المولى بك، البجاوي، إبراهيم، محمد أحمد، البجاوي، ومحمد أبو الفضل، (د.ت)، أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية ـ بيروت.
- حسب الله، بهاء، 2007م، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام" تاريخ وتذق"، دار الوفاء ـ الإسكندرية، ط/1.
- عبد الجليل، حسين ، 2001م، الأدب الجاهلي" قضايا ونصوص وفنون"، مؤسسة المختار، ط /1.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، 1984م، مقدمة ابن خلدون، دار القلم ـ بيروت.
- الذهبي، شمس الدين، 1985م، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/3.
- رشاد، شرحه أحمد، ديوان حاتم الطائي، 1986 م، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ط/1.
- الشكعة، مصطفى، 1997م، رحلة الشِّعر من الأموية إلى العباسية، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة، ط/1.
- الصاوي، شرحه: محمد ، (د.ت)، ديوان جرير، مطبعة الصاوي، مصر، ط/1.
- طماس، شرحه: حمدو، 2005م، ديوان زُهير بن أبي سُلمى، دار المعرفة ـ بيروت، ط/2.
- فروخ، عمر، 1981م، تاريخ الأدب العربي، ، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط/4.
- فاعور، علي، 1987م، ديوان الفرزدق شرحه وضبطه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1.
- القرطبي، أبو عمر ، (د.ت) ، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق : محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- طماس، شرحه: حمدُو، 2005م، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة ـ بيروت، ط/2.
- ضيف، شوقي ، 1989م، تاريخ الأب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف ـ مصر.
- الضبي، المفضل، 1963م، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف – القاهرة، ط/5.
- ظلام، سعد، 1992م، من المظاهر الفنية في الشِّعر الجاهلي، دار المنار ـ القاهرة ، ط/2.
- غريب، جورج، 1983م، صدر الإسلام، تاريخ ونماذج محللة، دار الثقافة ـ بيروت، ط/4.
- القيرواني، ابن رشيق، 1981م، العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت ط/5.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، 1988م، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط/1.
- محجوب، د. عباس، 2006م، الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيميّة والنقدية، عالم الكتب الحديث ـ الأردن ط/1.
- المصطاوي، شرحه: عبد الرحمن، 2004م، ديوان امرؤ القيس، دار المعرفة ـ بيروت، ط/ 2.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم أبو الفضل ، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر ـ بيروت، ط/3.
- ناصر الدين، شرحه وصنف قوافيه: مهدي محمد، 1994م، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية ـ لبنان، ط/2، 1994م.
- هلال، محمد غنيمي، 1997م، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر القاهرة.

- شعر الأخطل امتاز بالجزالة وطول النفس وحسن السبك وسلامة التعبير، فقد حرص على تنقيح وتهذيب شعره واستخدم عدة فنون شعرية أقلها فن الرثاء .